أثر السياق في قراءات المفاعلة من خلال كتاب "نظم الدرر" للإمام البقاعي ت (٨٨٥هـ).

الباحث/ محمد محمد يوسف محمد

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عرفات محمد محمد عثمان

الأستاذ الدكتور/ حسام محمد عبد الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية:

يتحدث هذا البحث عن أثر السياق في قراءات المفاعلة، من خلال كتاب الإمام البقاعي(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ويشتمل هذا البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة. المبحث الأول وفيه تعريف السياق، وأنواعه، وأهميته، المبحث الثاني وفيه نماذج تطبيقية لبيان أثر السياق في القراءات، ثم ختم البحث بخاتمة توصل الباحث فيها لعدة نتائج وتوصيات من أهمها أن أغلب العلماء اعتمدوا توجيه القراءات عن طريق السياق، وكان الإمام البقاعي ممن برزوا في هذا المجال.

ومن أهم توصيات البحث الاهتمام بنشر القراءات القرآنية والحث على تعلمها وفهم السياق القرآني.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني ــ القراءات القرآنية ــ توجبه القراءات ــ نظم الدرر ــ البقاعي.

Research Summary

This research talks about the effect of context in explaining the meaning of frequent Qur'at almufaeila, through the book of Imam Al-Buqa'i (Al-Durar composed in proportion to the verses and surahs). This research includes an introduction, two sections, and a conclusion. The first section contains the definition of context, its types, and its importance. The second section contains applied models to demonstrate the impact of context on Qur'anic recitations . Then the research concluded with a conclusion in which the researcher reached several results and recommendations, the most important of which is that most scholars depended on explanation and clarification Qur'anic recitations through context, and Imam Al-Buqa'i was among those who emerged prominent in this regard or the field.

One of the most important recommendations of the research is to pay attention to disseminating Qur'anic recitations and encourage learning them and understanding the Qur'anic context.

key words: The Quranic context - Qur'anic recitations – explanation Qur'anic recitations - Durar composed - Al-Buqa'I .

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فالعلم يشرف بشرف معلومهِ ومتعلَّقه، وسياقات مفردات القرآن الكريم من أهم ما يجب على الباحثين الاعتناء به، ومن ذلك: العناية بسياقات القراءات المتواترة، وبيان أثر السياق في اصطفاء بعضها بالاختلاف، وبعضها الآخر بالاتفاق.

وفيما يلي بيان لتعريف السياق وأنواعه وأهميته.

أولا تعريف السياق :

السياق لغة : مأخوذ من مادة : (س و ق) التي تدل على حذو الشئ أي : تتابعه[١]. ومنه قول العرب : " وقد انساقت ، وتساوقت الإبل تساوقا ، إذا تتابعت ، وفي حديث أم معبد : فجاء زوجها يسوق أعنزا . ما تساوق أي: ما تتابع ....والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا ... كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ، ويتخلف بعضها عن بعض"[٢]

وأصل السياق " سواق ، فقلبت الواو ياء لكسرة السين ، وهما مصدران من : ساق يسوق . ومنه الحديث " حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت"[٣]

وأشار اللغويون ، والبلاغيون العرب القدامى إلى مفهوم السياق ، ولكنهم استخدموا مصطلحات أخرى للدلالة عليه مثل : الحال ، والمقام ، والمشاهدة ، ودليل ، والقرينة ، والموقف[٤]. ويقول د حسن محمد عبدالعزيز معرفا السياق " الغرض الذي تتابع الكلام لأجله ، مدلولا عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام أو المتكلم أو حالة فيه أو السامع[٥]. وعلماء التفسير كانوا لا يكتفون بالمعنى للمعجمي ، بل يجمعون إليه المعنى السياقي ، ويلاحظ أن المفسرين في تعريفهم لعلم التفسير ما يدل على إدراكهم الواعي لقيمة السياق في علم التفسير ، ودوره في تحديد دلالات النص ، وذلك لأن " التفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ ، والتفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل ، وغيره، وبحسب المعنى الظاهر ، وغيره "[٦].

---

(١) مقاييس اللغة: تح : عبدالسلام هارون ١١/٣(س و ق) ، ط دار الفكر : ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. وينظر : العين للخليل : تح : مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ٢٧٩/٣

(٢) لسان العرب: ابن منظور ١٦٦/١٠(س و ق) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري بن الأثير ٦٠٦ تح : طاهر الزاوي ٢٤٢/٢ ، ط. المكتبة العلمية ، بيروت :١٣٩٩هـ.١٩٧٩م./ وينظر لسان العرب ١٦٧/١٠

(٤) ينظر : دلالة السياق رسالة دكتوراة : ردة الله بن ضيف الله الطلحي ٤٢ ،ط جامعة أم القرى ٢٠١٩م

(٥) دلالة السياق وأثره في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني ٤١.

(٦) الموسوعة القرآنية : إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (١٤١٤هـ) ٤٩/٣،ط.مؤسسة سجل العرب :١٤٠٥هـ . وينظر : البرهان في علوم القرآن ١٤٩/٢

وقد وضع المفسرون شروطا في المفسر منها علمه بالقراءات ،ليعرف به كيفية النطق بالقرآن ، وبها يترجح بعض الوجوه المحتملة، وهذا ما يتصل بالتحليل الصوتي للنص، وبهذه الخاصية الصوتية يتميز النص القرآني عن سائر النصوص المكتوبة، إذ حفظت بطريقة أدائه، ومواضع الوقف والوصل، وغيرها، مما يؤثر في تحديد المعنى(١)

ويقول الزركشي : "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"(٢)

ويرى العالم **فندريس**:" أن السياق هو الذي يبين قيمة الكلمة "(٣)

ثانيا أنوا ع السياق :

قسم **علماء اللغة** السياق قسمين :

النوع الأول السياق اللغوي:

" وكان أول من استخدمه لهذا المعنى : الشافعي رحمه الله حين عقد بابا في الرسالة أسماه: [باب الصنف يبين سياقه معناه](٤) .

ومن أمثلة للسياق اللغوي ما يلي :

استخدم السلف السياق اللغوي في تفسير النصوص الدينية معتمدين في ذلك على وعيهم الديني ، وثقافتهم العربية ، ومعرفتهم لأسباب نزول الآيات ، ومناسبتها، واعتمدوا على الشعر في إثبات صحة معاني المفردات التي فسروها، وقد ظهر هذا الاستخدام للسياق مبكرا، فعند خفاء المعنى على المسلمين كانوا يلجؤون إلى الرسولﷺ ليفسر لهم، وقد كان ﷺ يفسر القرآن بالقرآن مثل : سؤالهم لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ؟ ففسره النبي ﷺ بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]. وغير ذلك مما سألوه عنه ﷺ فقد جمع ﷺ بين آيتين تجمعهما مناسبة معينة لتفسير ما تشابه عليهم من المعنى(٥).

وعلى هذا فلا بد من معرفة النص كاملا قبل إصدار الحكم، أو تفسير المعنى للكلمة، كما أنه لا بد من النظر إلى المعنى بكل جوانبه، وارتباطاته.

---

(١) السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق : د/أسامة عبدالعزيز جاب الله *، ط. كلية الآداب جامعة كفر الشيخ د.ت.

(٢) البرهان في علوم القرآن : الزركشي ٣١٧/١.

(٣) قرينة السياق وأثرها في النص القرآني : عبدالقادر الخزرجي ١٢١.

٤) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي٣٠ ط .دار المنار للطبع والنشر:١٩٩١م.

(٥) ينظر دور المتكلمين في استخدام السياق اللغوي : د. إبراهيم كايد محمود ١٨،جامعة الملك فيصل، ط. مكتبة دار المعرفة: د. ث.

ويقول د. تومة عبدالجبار" لعل ملاحظة علماء القرآن قديما أن أفضل طريقة في تفسير القرآن الكريم مفردات، وتراكيب هي : تفسير القرآن بالقرآن ، وهي تشير في الجانب الأهم منها: إشارة قوية إلى ما أصبح يعرف اليوم في البحث اللغوي بالسياق اللغوي"(١).

ويقول السيوطي :" من أراد تفسير القرآن طلبه أولا : من القرآن فما أجمل في مكان فقد فسر في موضع آخر"(٢).

النوع الثاني : السياق الغير لغوي (سياق الحال):

ويطلق عليه سياق الموقف، أو السياق الخارجي، وهو: "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي"(٣).

مثال لسياق الموقف(الحال أو الخارجي):

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]

فالآية لبيان مراعاة وقت العدة عند إرادة الطلاق، فتكون أيضا في ذلك، بدليل ما روي من قول الرسولﷺ: في شأن عبدالله بن عمرﷺ حين طلق زوجته وهي حائض: "ليراجعها، ثم ليمسكها، حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها، فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها، تلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء"(٤).

فالسياق يفهم منه الغرض أو قصد المتكلم من إيراده الكلام، إذ يحدد المعنى وهو: سياق الحال، أو الموقف، أو السياق الخارجي، وهو: سبب نزول الآية، فالحديث الوارد هو :سياق خارجي دل على المعنى.

وقد ساق ابن جني في الخصائص كلاما عن سياق الحال، أو سياق الموقف حيث قال:" الذي يدل على أنهم أحسو ما أحسسنا، وأرادوا، وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته، وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا، فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب وجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها، وقصودها: من استخفافها شيئا، أو استثقاله وتقبله، أو إنكاره، والأنس به، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالمقصود، بل الحالقة على ما في النفوس ألا ترى إلى قوله:

---

(١) نقد ترجمة القرآن إلى الفرنسية في ضوء النهج السياقي : د. تومة عبدالجبار ٢٦٣،ط .ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:٢٠٠٦م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن٢/٢٢٥.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :د. محمود السعران ٢٥٢، ط. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(٤) صحيح البخاري:٩/٤٨٢كتاب الطلاق باب(وبعولتهن أحق بردهن)حديث رقم٥٣٣٢.

تقول وصكت وجهها بيمينها ..... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس"[١].

فلو قال " حاكيا عنها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صك الوجه ، لأعملنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها"[٢].

النوع الثالث : سياق موقف كلامي السياق العاطفي : من السياق الخارجي.

" هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا، أو مبالغة، أو اعتدالا، فكلمة (يكره) غير كلمة (يبغض)، رغم اشتراكهما في أصل المعنى"[٣].

<u>مثال للسياق العاطفي:</u> ذلك: أنه لما أكثر المسلمون من سؤال النبي ﷺ وأثقلوا عليه قال لهم:" سلوني عما شئتم"[٤]. واحمر وجهه ﷺ فإن تحليل هذه العبارة نحويا : سلوني عما شئتم يعطي : دلالة الأمر، والإثبات، في أن يستمروا في سؤاله عما بدالهم، ولكن حال النبي ﷺ من تغير وجهه، وهي علامة غضبه يعرفه بها الصحابة ، وهي من سمات شخصيته يدل على : خلاف ذلك، ولذا قال :عمر ﷺ متأثرا: إنا نتوب إلى الله ونستغفره، وهذا يقتضي أنهم كفوا عن الاستمرار في سؤاله ﷺ، وهذا يعني أن العابرة في هذه الحال كانت بمعنى النهي، والكف عن الاستمرار في السؤال، وهي: دلالة ضد الدلالة المستفادة من التحليل اللغوي، لظاهر العبارة أو لبنيتها السطحية[٥].فشعور النبي ﷺ بالغضب الذي أنبأ عن احمرار وجهه ﷺ بين المقصد الصحيح من الحديث. إذا الدلالة الإيمانية، وهي: ظهور الغضب على وجهه ﷺ وضحت المعنى، وهذا ضد مفهوم اللفظ.

النوع الرابع : السياق الثقافي: نوع من السياق الخارجي.

قال د. أحمد مختار عمر:" هو السياق الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي، أ، الاجتماعي، الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة"[٦]. وقيل :"هو الظروف الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، وهو ما يسميه البلاغيون العرب (المقام)، وقد قالوا: لكل مقام مقال"[٧].

النوع الخامس : السياق الاحتمالي : من السياق الخارجي.

سياق الاحتمال: اللفظ فيه دلالات متعددة، وكلها راجحة، ومستحسنة، لأن السياق مرتبط بفكرة القصد، أي قصد المعنى المراد، أما سياق الاحتمال فيترجح كل المعاني ولذا سمي

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو للهذلول بن كعب العنبري شرح ديوان الحماسة للمرزوقي٦٩٦.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة ما بين ١٩٥٢ و١٩٥٥م.٢٤٦/١،ط٤.

(٣) علم الدلالة: أحمد مختار عمر٧٠،ط٧:عالم الكتب:٢٠٠٩م.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم :د. مصطفى ذيب البنا٤٧/١،ط٣:دار بن كثير:١٩٩٧م.

(٥) ينظر فصول في علم الدلالة" فريد عوض حيدر١٤٣،ط.مكتبة الآداب للطباعة:٢٠١١م.

(٦) علم الدلالة :د.أحمد مختار عمر٧٠١.

(٧) علم اللغة بين القديم والحديث: عاطف مدكور٢١٤،ط. دار الثقافة، القاهرة:١٩٨٧م.

احتمال أي يحتمل أن يكون القصد جميع الدلالات، وتكون جميع هذه المعاني في نظر السياق مستحسنة، فينشأ عن ذلك: تنوع الاستنباطات، والتأويل المنبثقة عن هذا النوع من السياق **وبعض الباحثين** : قسموا السياق اللغوي إلى سياق كلي، وهو يشمل النص بأكمله، السياق الجزئي للنص، ويشمل التركيب، أو الجملة الواحدة، ويمثله النحاة والبلاغيون[1].

أهمية السياق :

للسياق أهمية يتوقف عليها ترجيح المعنى المراد وفهمه، ومن تلك الأهمية :

١ ــ تحديد المعنى المقصود من النص.

٢ ــ توجيه الإعراب.

٣ ــ تفسير المحذوف .

٤ ــ الإسهام في الإثراء الدلالي المعجمي.

٥ ــ التحديد الدلالي الدقيق للاسم النكرة عموما.

٦ ــ التحليل الزمني للجملة.

٧ ــ التحليل الدلالي النحوي .

مما سبق يتضح أهمية السياق في دلالة الكلمة أو النص، أو الجملة.

المبحث الثاني: بعض النماذج التطبيقية لأثر السياق في قراءات المفاعلة من خلال كتاب الإمام البقاعي (نظم الدرر).

النموذج الأول : من صفات المنافقين .

قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]

القراءات الواردة في الآية: ـــ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال. وقرأ الباقون﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف[2]

العرض :

قال البقاعي رحمه الله : " ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أي بما يغرون به المؤمنين ﴿ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعني أن عقولهم لخباثتها إنما تسمى نفوساً، والنفس قال الحرالي ما به ينفس المرء على غيره استبداداً منه واكتفاء بموجود نفاسته على من سواه. انتهى. وقراءة الحذف هذه لا تنافي قراءة يخادعون لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة، وعبر هنا بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالي بفساد أحوالهم في بعض الأوقات ومن بعض الأشخاص

(١) ينظر السابق٢٤٠ بتصرف.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٠٧)

وبصيغة المجرد لعمههم عن فساد أحوالهم في أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم ولا يكون من الله سبحانه إلا بلفظ الخدع لأنهم لا يعلمون ما يخفى عنهم من أمره ولذلك جاء في آية النساء ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾(النساء ١٤٢)".[١]

التحليل والمناقشة :

في هذه الآيات يبين الله ﷻ بعضا من صفات أهل النفاق حيث بين سبحانه أن من صفاتهم جهلهم القبيح بالله ﷻ، حيث يظنون لقصور عقولهم أنهم عندما يظهرون عكس ما يبطنون أنهم يخدعون الله والمؤمنين والحقيقة أنهم يخدعون أنفسهم.

قال الطبري: " إن قال قائل: أو ليس المنافقون قد خدعُوا المؤمنين بما أظهرُوا بألسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالِهم وذَرَاريهم حتى سلمت لهم دنياهم، وإن كانوا قد كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم؟ قيل: خَطأٌ أن يقال إنهم خَدعوا المؤمنين. لأنَّا إذا قلنا ذلك، أوجبنا لهم حقيقةَ خدعةٍ جازت لهم على المؤمنين. كما أنَّا لو قلنا: قتل فلان فلانًا، أوجبنا له حقيقةَ قتلٍ كان منه لفلان. ولكنا نقول: خادَع المنافقون رَبَّهم والمؤمنين، ولم يَخْدَعوهم بَل خَدعوا أنفسهم، كذلك تقول: خادَعَ المنافقُ ربَّه والمؤمنين فلم يخدعْ إلا نفسه، فتثبت منه مخادعةَ ربه والمؤمنين، وتنفي عنه أن يكونَ خَدع غير نَفسه، لأن الخادعَ هو الذي قد صحّت الخديعة له، وَوقع منه فعلُها ، والله بما يُخْفون من أمورِهم عالم. وإنما الخادع من خَتَل غيرَهُ عن شيئِه، والمخدوعُ غير عالم بموضع خديعةِ خادعِه. فأما والمخادَع عارفٌ بخداعِ صاحبه إياه غير لاحقِه من خداعه إيّاه مكروهٌ،[٢]". وقد ذهب البعض من أهل اللغة إلى أن القراءتين بمعنى واحد

قال مكي بن أبي طالب :"وعلة من قرأ بغير ألف أن أهل اللغة حكوا : خادع وخدع بمعنى واحد ، والمفاعلة قد تكون من واحد كقولهم: داويت العليل ، وضربت اللص. ثم قال : وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن وهو أن خادع وخدع بمعنى واحد في اللغة. فيكون ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ و﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بمعنى واحد من فاعل واحد .[٣]

وقال ابن كثير :" ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.[٤] يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٠٨)

(٢) تفسير الطبري جامع البيان (١/ ٢٧٦).

(٣) الكشف – ج١ ص٢٢٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٩ .

وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء ١٤٢)ومن القراء من قرأ ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد".[١]

وقال صاحب كتاب القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية :"إن من عرف نفسية المنافق واضطرابه وقلقه أدرك أن كلتا القراءتين في القمة إيجازا وإعجازا ، صحة معنى وروعة مبنى"[٢].فالقراءة الأول﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ تطمئن المؤمنين بأن عمل هؤلاء المنافقين سينقلب وبالا عليهم ، فنتيجة المخادعة ضرر محقق لأنفسهم ،فهي بشارة للمؤمنين بماسيقع على أولئك المنافقين .

وأما القراءة الثانية وهي ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ فإنها تدل على شئ آخر وهو ما يجده المنافقون في أنفسهم من اضطراب ، وضيق وعدم استقرار وثبات .

وفي كلام الإمام البقاعي ايماء بذلك حيث جعل الكلام في سياق علم الله تعالى بخفيات الأمور فهم ظنوا أنهم يخدعون المؤمنين لكن لا يعلمون أن الله تعالى يعلم السر وأخفى .

النموذج الثاني : اليمين اللغو واليمين المنعقدة وكفّارتهما .

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]

القراءات الواردة في الآية: ـــ قرأ حمزة، والكسائي ،وخلف، وشعبة ﴿ عَقَدْتُمُ ﴾بالقصر والتخفيف، ورواه ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف﴿ عَاقَدْتُمُ ﴾، وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف﴿ عَقَّدْتُمُ﴾.[٣]

العرض :

قال البقاعي رحمه الله : "ولما كان مطلق الحلف الذي منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين، أعلم أن المؤاخذة إنما هي بتعمد القلب، وهو المراد بالكسب في الآية الأخرى[٤]، فعبر بالتفعيل في قراءة الجماعة، والمفاعلة على قراءة ابن عامر تنبيهاً على أن ذلك هو المراد من قراءة حمزة ، والكسائي بالتخفيف فقال ﴿ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ أي بسبب توثيقها وتوكيدها وإحكامها بالجمع بين اللسان والقلب، سواء كان على أدنى الوجوه كما تشير إليه

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٨٨) .

(٢) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للدكتور فضل حسن عباس ج١ص٦٨.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥)

(٤) وهي قوله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٥)

قراءة التخفيف، أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد، فلا يحل لكم الحنث فيها إلا بالكفارة بخلاف اللغو فإنه باللسان فقط، فلا عقد فيه فضلاً عن تعقيد[١]".

التحليل والمناقشة :

قراءة التخفيف توحي بانعقاد اليمين من مرة واحدة ، وقراءة التشديد ، توحي بأن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار، ولا كفارة إلا مع التكرار.

وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل "فعَّلت" في الكلام، إلا فيما يكون فيه تردُّدٌ مرة بعد مرة، مثل قولهم: "شدَّدت على فلان في كذا"، إذا كُرِّر عليه الشدّة مرة بعد أخرى.

فإذا أرادوا الخبر عن فعلٍ مرّة واحدة قيل: "شَدَدت عليه"، بالتخفيف.

وقد أجمع الجميع لا خِلافَ بينهم: أنّ اليمين التي تجب بالحِنْث فيها الكفارة، تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة، وإن لم يكرّرها الحالف مرات .[٢]

وتعدد القراءات في هذه الآية كان له أثر فقهي حيث أدت قراءة التشديد للإيهام بأن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار مرة بعد مرة، في حين جاءت القراءة بالتخفيف لتزيل هذا التوهم والتأكيد على انعقاد اليمين بالتلفظ بها مع انعقاد القلب عليها أو باليمين من كل واحد للآخر على أمر عقدتموه، سواء كان ذلك بعد تكرار اليمين، وهو ما توهمه قراءة التشديد وليس بشرط لانعقادها ــ أم كان مرة واحدة ، وهو ما جاءت به قراءة التخفيف .

وفي كلام الإمام البقاعي رحمه الله مراعاة لسياق الحال حيث أن السياق هنا للمؤاخذة التي تعالج حال كل المتناظرين، موجب لزيادة التحذير، دال على مقصد من مقاصد هذه السورة الكريمة ألا وهو أحكام الأيمان وكفاراتها ، وذلك في قوله عند توجيه عدم المؤاخذة على قراءة التخفيف " أي بسبب توثيقها وتوكيدها وإحكامها بالجمع بين اللسان والقلب، سواء كان على أدنى الوجوه" أما على قراءة التشديد قال" أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد[٣]"

فنلحظ أنه راعى حالة من قام بالحلف وجعل كل قراءة تبين حالة من الحالات والله أعلم.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٢٨٧)

(٢) تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (١٠/ ٥٢٤).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٢٨٧)

الخاتمة:

الحمد لله أن وفقني لإنهاء هذه الدراسة والتي قد جعلتني أتوصل إلى النتائج الآتية:

١ــ اهتمام الإمام البقاعي بالقراءات في تفسيره، وتناوله لها بهذا التوسع والدقة وذلك من خلال ذكرها منسوبة إلى أصحابها وتوجيهها، والترجيح بينها، وبيان معانيها المختلفة، وبيان أثر ذلك على التفسير، وهذا جعل تفسيره مصدرا هاما من مصادر القراءات.

٢ ــ اعتناء علماء الأمة بالسياق القرآني، واعتمادهم عليه في فهم النص القرآني.

٣ــ القراءات القرآنية كلها حق تجب القراءة بها، والعمل بها.

٤ــ بينت الدراسة التأصيلية لعلاقة السياق بالقراءات، أن أغلب العلماء اعتمدوا توجيه القراءات عن طريق السياق .

٥ ــ أظهرت الدراسة أن القراءات القرآنية معظمها جاء لاتساع المعنى.

٦ ــ أظهرت الدراسة أن السياق من الموضوعات التي تساعد على فهم النص القرآني.

المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. البرهان في علوم القرآن، بو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٣. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعةما بين ١٩٥٢ و١٩٥٥م.

٤. السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق : د/أسامة عبدالعزيز جاب الله *، ط كلية الآداب جامعة كفر الشيخ د ت

٥. الموسوعة القرآنية : إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (١٤١٤هـ) ،ط مؤسسة سجل العرب ١٤٠٥:هـ

٦. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، تح علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] .

٧. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري بن الأثير ٦٠٦ تح : طاهر الزاوي ٢٤٢/٢ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت :١٣٩٩هـ=١٩٧٩م

٨. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تح د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط/الأولى - ١٤١٩ هـ .

١٠. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق: د عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي٣، ط دار المنار، القاهرة

١١. دلالة السياق رسالة دكتوراة : ردة الله بن ضيف الله الطلحي ٤٢ ،ط جامعة أم القرى ٢٠١٩م

١٢. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط٧:عالم الكتب:٢٠٠٩م
١٣. علم اللغة بين القديم والحديث : عاطف مد كور، ط دار الثقافة، القاهرة:١٩٨٧م
١٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :د محمود السعران ، ط دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
١٥. فصول في علم الدلالة" فريد عوض حيد، ط مكتبة الآداب للطباعة:٢٠١١م .
١٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط/الثالثة – ١٤١٤ هـ .
١٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)،تح : عبدالسلام هارون، ط دار الفكر : ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م .
١٨. صحيح البخاري تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط دار طوق النجاة. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
١٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة١٤٣١هـ
٢٠. نقد ترجمة القرآن إلى الفرنسية في ضوء النهج السياقي : د. تومة عبدالجبار ٢٦٣، ط . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:٢٠٠٦م.